الفصل السّادس

الرّعاية اليومية للطّفل وحقّه في العدل والمداعبة والمعرفة والاتّزان

البحث الأول:

رعاية الإسلام للأطفال حتى مع أطفال الكفّار

إنّ اهتمام الإسلام يتعدى أطفالنا، إلى الأيتام من أبناء المسلمين، وحتى أطفال الأعداء خلال فترة الحروب، وحكمه في أبناء السّبي.

ففي الحروب كانت سُنّة الإسلام ألاّ نقاتل إلا مَنْ حمل السّلاح، فالصبي والمرأة التي لا يدَ لها في المعركة، والشيخ الفاني الذي لا يشترك بجهدٍ أو رأي، كل أولئك لا يجوز أبداً قتالهم أو قتلهم.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ امرأةً وُجدتْ مقتولةً في بعض مغازي رسول الله ﷺ، فأنكرَ رسول الله ﷺ ذلك، ونهى عن قتل النّساء والصّبيان[(١)].

ولا يقصد أبداً في الإسلام قتل الأطفال إلّا إذا طمع الأعداء برحمة المسلمين واستغلوها.

وإن تترَّسُوا في الحرب بنسائهم وصبيانهم، جاز رميهم، ويقصد المقاتلة، لأنّ النّبيّ ﷺ رماهم بالمنجنيق، ومنهم النساء والصّبيان، ولأنّ كفَّ المسلمين عنهم يفضي إلى تعطيل الجهاد، لأنّهم متى علموا بذلك تترَّسُوا بهم[(٢)].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) المغني، ج ٨/ ٤٤٩.

وأمّا الأطفال السّبي: فقد دعا الإسلام إلى عدم التفريق بين الوالدة وولدها، إذا كان الطّفل دون سنّ البُلوغ.

فإذا وقع في السبي ولدٌ مع أحد أبويه، يجتهد الإمام حتى لا يُفرق بينهما في القسمة، وكذلك الإخوة والمحارم. فإن فُرّق لغير ضرورة، كرهه جماعة من أهل العلم، وذهب قوم إلى أنّه يجوز إلّا بين الولد الصغير والوالدين. والأصل في ما روي عن أبي أيوب قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«مَنْ فرَّقَ بينَ والدةٍ ووَلَدِها فرَّقَ الله بينَهُ وبينَ أحبّتِهِ يومَ القيامة»**[١] والحديث أخرجه أحمد والترمذي. هكذا كانت رحمة الإسلام بأطفال المسلمين، وغير أبناء المسلمين من الأعداء وأبناء السّبي.

أمّا رعاية الأيتام:

فقد بلغَ الإسلامُ في ذلك شأواً رفيعاً شفّافاً من العناية بهم، ومسح دمعتهم، فالطّفل الذي فقد أباه وهو بعدُ لم يبلغ مبلغ الرجال حريٌّ أنْ يُعوّض عن حنان أبويه وعطف والده، ممّا يملأ هذا الفراغ في نفسه، خاصة وأنّه يرى لداته يغدون ويروحون في كنف أبويهم، ومِنْ ثَمّ رغّبَ الإسلامُ في إكرام هؤلاء اليتامى من الأطفال بالمزيد من العطف.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما، أنّ النّبيّ ﷺ قال: **«من قبض يتيماً من بين المسلمين إلى طعامه وشرابه أدخله الله الجنّة، إلا أن يعمل ذنباً لا يُغفر»**[٢].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أنا وكافلُ اليتيم في الجنّة كهاتين»**، وأشار بأصبعيه السّبابة والوسطى[٣].

وهذا كله من التكافل الاجتماعي الذي يدعو إليه الإسلامُ حتى يجد هؤلاء الأطفال في بيئة المسلمين ما يُعوّضهم عن حنان فقدوه، ومحبّة حرموها بموت الوالدين أو أحدهما، فعن أبي أمامة عن النّبيّ ﷺ قال: **«مَن مسحَ رأسَ يتيمٍ لم**

---

(١) المغني: ٨/ ٤٤٢، شرح السّنّة: ٩/ ٣٣٥- ٣٣٦.
(٢) رواه الترمذي.
(٣) رواه الترمذي.

يمسحه إلّا لله، كان له بكل شعرة لمس عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده، كنتُ أنا وهو في الجنّة كهاتين»، وقرن بين أُصبعيه[١].

البحث الثاني:

مراعاة حاجة الطّفل اليومية

إنّ الطّفل الوليد يعتمد اعتماداً كاملاً على الآخرين، فهو كائنٌ إنساني لا حول له ولا قوة، إنّه يأتي إلى هذا العالم ولديه إمكانيات كافية، وبعض أجهزته على أتمّ استعداد للعمل مباشرة للمحافظة على حياته، والبعض الآخر ما زال أمامه بعض الوقت كي يقوم بوظائفه على الوجه الأكمل.

ولا يستطيع الوليد إحداث أيَّ تعديل في بيئته لإشباع حاجاته في النّموّ إلا عن طريق أُمّه، وعلى هذا فإنّ عملية الأمومة لازمة لبقائه.

وقد أكّد الإسلامُ على الحاجات الأساسية للإنسان عمُوماً وجعلها من المصالح المعتبرة.

والمصالح المعتبرة هي المصالح الحقيقية، وهي ترجع إلى أمور خمسة: حفظ الدين، وحفظ النّفس، وحفظ العقل، وحفظ النّسل، وحفظ المال. لأنّ هذه الأمور الخمسة بها قوام الدنيا التي يعيش بها الإنسان، ولا يحيا حياةً تليق إلّا بها.

والمحافظة على النّسل هي المحافظة على النوع الإنساني، بحيث ينشأ قوياً في جسمه ومواهبه، ومشاعره وخلقه ودينه، وذلك بتنظيم الأسرة ليُربَّى فيها الأولادُ، وينعموا بالحياة الأبوية وبالأمومة التي تتغذّى منها عواطفهم وتكمل مداركهم.

ولذلك اهتمَّ المربُّون المسلمون بهذه الحاجات الأساسية، ودعوا إلى تنمية المواهب والقُدرات عند النّاشئة.

---

(١) أخرجه أحمد وإسناده، شرح السّنّة: ١٣/ ٤٤.

وعناصر التّربية تتركز في:

١ - المحافظة على فطرة النّاشيء ورعايتها.

٢ - تنمية مواهبه واستعداداته كلها.

٣ - توجيه هذه الفطرة، وهذه المواهب نحو صلاحها وكمالها اللائق بها، وكمال كل شيء بحسبه.

٤ - التّدرّج في هذه العملية التّربوية.

وبيَّنَ آخرون أهمَّ هذه المزايا التي يتّسم بها تنظيم الإسلام للشخصيّة ومنها:

١ - مراعاة الجانب الغريزي في الشّخصيّة وبالذّات فيما يتصل بالدوافع الأولية للكائن الحي، من مأكل ومشرب ودوافع جنس.

٢ - مراعاة الجانب الاجتماعي، والعلاقات بين الأفراد، من حيث الحقوق والواجبات.

٣ - مراعاة الجانب السّلوكي، والجانب السّلوكي الباطن.

فلا بد للمربّين أن يراعوا هذه الحاجات الأساسية من طعام وشراب، وحنان الأمومة، ورعاية الأبوّة، مع تأمين الجوّ الآمن من أذى الحرّ والبرد والحوادث.

إذْ يُعتبر الحرمان من أشد المعوّقات التي تقف في سبيل نمو الذكاء بدرجة تعادل الإمكانية الموجودة.

ومن المعروف به كذلك أنّ أكبر ما يعوق عملية النّموّ هو الحرمان سواء كان ذلك في الطّعام أم في الخبرة أو في المحبة.

فما أحرانا أن نُراعي خصائص الطّفولة ليتمَّ التّعامل مع الأطفال على أساسها!؟ ومن أهمّها مراعاة حاجات الأطفال النّفسيّة.

حاجات الأطفال النّفسية:

الحاجة هي الافتقار إلى شيءٍ ما، إذا وجد حقّق الإشباع والرضا والارتياح للكائن

الحيّ. والحاجة شيءٌ ضروري إمّا لاستقرار الحياة نفسها «حاجة فسيُولُوجيّة» أو من أجل الحياة بأسلوب أفضل «حاجة نفسيّة».

فالحاجة إلى الأوكسجين ضروريّة للحياة نفسها، وبدون الأوكسجين يموت الإنسانُ في الحال، وكذلك كلُّ ذي روح.

أما الحاجة إلى الحب والمحبة، فهي ضرورية للحياة بأسلوب أفضل، وبدون إشباعها يصبح الفرد سيِّىء التّوافق. والحاجات توجه سلوك الإنسان.

أمّا الحاجات النّفسية الأساسية للأطفال والتي اتفق عليها عددٌ كبيرٌ من علماء التّربية فنوجزها فيما يأتي:

١ - الحاجة إلى الحب والمحبّة: فالطّفل الذي لا يشبع هذه الحاجة، فإنّه يُعاني من الجوع العاطفي، ويشعر أنّه غير مرغوب فيه، ويُصبح سيّىء التّوافق معنوياً ونفسياً.

٢ - الحاجة إلى الحرّيّة والاستقلال: إذْ يحتاج الطّفل إلى الشعور بالحرّيّة والاستقلال وتسيير أموره بنفسه دون معونة من الآخرين ممّا يزيد ثقته في نفسه. فيجب تشجيع التفكير الذاتي المستقل لدى الطّفل ومعاملته على أنّ له شخصيته المستقلة ووجهة نظره الخاصّة.

٣ - الحاجة إلى سلطة ضابطة مُوجّهة؛ ذلك لأنّ سلوك الطّفل ما زال غير ناضج وخبراته فجّة، إلّا أنّ هذه السّلطة لا بدّ أن تراعي مستوى نموّ الطّفل وأن تكون حازمةً حنونةً بآنٍ واحدٍ. هذا فضلاً عن حاجات نفسيّة أخرى للأطفال وذلك مثل:

أ - الحاجة إلى رعاية الوالدين وتوجيههم.

ب - الحاجة إلى إرضاء الكبار.

ج - الحاجة إلى تعلم المعايير السّلوكيّة.

د - الحاجة إلى اللّعب.

هـ - الحاجة إلى التقدير الاجتماعي.

والطّفل في حاجةٍ إلى معونةِ أُمِّهِ كي يتعلم الضّبط ويتعوده. فبالرّفق وعدم الإسراف في الضّبط والتوجيه، والتغاضي عن بعض أخطاء الطّفل وزلاته حتى لا

نفقده ثقته في نفسه، يُؤدّي الإشراف والتّربية غايته، مع يقظةٍ واعيةٍ وحرصٍ للبعد عن التّدليل للطّفل.

إنّ إغراق الوالدين في الحدب والرعاية يبعث في علاقتهما بالطّفل أمراً غامضاً، يأخذه الصّغير على أنّه لونٌ من الشّك أو الرّيبة، أو من الضّعف لدى أبويه، ويمنعه هذا الموقف من اتخاذهما قادة له يسترشد بهما، مع أنّ هذا هو العامل الأوّل في تربية الطفل.

البحث الثالث:

وجوب العدل والمساواة بين الأطفال

من أهم عوامل الاستقرار النفسي معاملة الأطفال بالعدل، لأنّ ذلك يُبهج نفوسهم ويُريح أفئدتهم، فلا ضغينة ولا حسد ولا غيرة عندما تتحقق المساواة في معاملتنا لأطفالنا، إذْ يشعرون بمدى حُبِّنَا لهم.

ولذلك اهتمّ الإسلامُ بالعدل والمساواة، وحثّنا على تطبيق ذلك في حياتنا كلِّها، وحتى مع أطفالنا!!.

عن النّعمان بن بشير أنّ أمّه بنت رواحة سألت أباه بعض الموهبة من ماله لابنها، فالتوى بها سنةً ثم بدَا له فقالت: لا أرضى حتى تُشهدَ رسول الله ﷺ على ما وهبت لابني. فأخذ أبي بيدي وأنا يومئذ غلام فأتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله إنّ أُمَّ هذا بنت رواحة أعجبها أنْ أُشهِدكَ على الذي وهبتُ لابنها، فقال رسول الله ﷺ: **«يا بشير! ألكَ ولدٌ سوى هذا؟»** قال: نعم. فقال: **«أكلّهم وهبتَ له مثل هذا؟»** قال: لا. قال: **«فلا تُشْهِدني إذاً، فإنّي لا أشهد على جَوْرٍ»**[1]!!.

(١) رواه مسلم في كتاب الهبات.

وفي رواية قال: «أيسرّك أن يكونوا إليك في البِرّ سواء»، قال: بلى. قال: «فلا إذاً»(١). وإنّ حُسن المعاملة والعدل بين الأولاد يكون سبباً معيناً على برّهم، فعن الشعبي قال: قال رسول الله ﷺ: «رحمَ الله والداً أعان ولدَهُ على بِرّهِ».

وقد يخطىء كثيرٌ من الأهل في إثارة التّنافس بين الأخوة ظنّاً منهم أنّ في ذلك حافزاً لهم. وإنّما يسبب هذا كثيراً من المآخذ السلبية، ولا مانع من أن نبرز كيان الطّفل باعتدال نُشاوره في أموره الخاصّة كالملابس، وطريقة النّوم، وقد نقنعه بخلاف فكرته ليتعوّد المشاركة الاجتماعية، ولكن لا نطمس كيانه حتى لا يصبح إمّعةً يقول: إنْ أحسنَ النّاسُ أحسنتُ. وقد تخطىء بعض الأسر في إثارة الغيرة بين أبنائها حيث «لا تزال تستخدم إلهاب الغيرة حافزاً يبعث الطّفل إلى مضاعفة جهوده، كأن يداوموا مقارنة طفل بآخر، مقارنةً قد تصل إلى شدّة المبالغة في خيبة أحدهما وتفوّق الآخر؛ لأنّ هذه المعاملة تُسبب الحسد». والوقاية تكون بالمحبّة وإيجاد التفاهم والاطمئنان والنّظام المعقول، ولا بأس بالسماح للطفل في المساعدة في شؤون الطّفل الجديد عند إلباسه أو تغسيله، والمقصود على العموم، هو إشعار الطّفل بأنه محبوب ومراد كما كان سابقاً. وحكمة الله في الخلق تتنافى وأن يكون الجميع على مستوًى واحدٍ، فلا يصح مقارنة طفل بآخر، وإنّما يقارن الطّفل بحاله سابقاً، ونثني على كل تحسُّنٍ نلمسه من الطّفل.

فمراعاة كرامة الطّفل ضرورية، ولو أخطأ أو قصّر، فلا بدّ من توجيهه من غير مساس بكرامته وإنسانيّته الطّفوليّة.

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه برقم ١٦٢٣.

البحث الرابع:

حقوق الطّفل في المداعبة والرأفة والملاطفة

إنّ الأطفال ذوو نفوس صافية، يحتاجون إلى الرّحمة بهم، والعطف عليهم، فهم يحسون بحُسْن المعاملة حسب مداركهم، ويهتمون بالألعاب منذ نعومة أظفارهم، ولذلك كان رسول الله ﷺ يداعبهم وكان صحابته يسيرون على نهجه، ومن هنا لا بدّ أن يستغلَّ المربّي استخدام الألعاب في توجيه الطّفل وأنْ يجعلها في خدمة الأخلاق العليا التي يتخلّق بها، وللألعاب فوائد تروّح عن نفوس الأطفال فلا بدّ من الانتباه إليها.

السّلف وملاعبة الأطفال:

كان رسول الله ﷺ يداعب الأطفال، ويرأف بهم ويُحسن ملاعبتهم، ومن ذلك مواقفه مع أحفاده ومع أبناء الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قبّل رسول الله ﷺ الحسن بن علي وعنده الأقرع بن حابس التميمي جالس، فقال الأقرع: إنّ لي عشرةً من الولد ما قبّلتُ منهم أحداً. فنظر رسول الله ﷺ إليه، ثم قال: «مَنْ لا يَرْحَمُ، لا يُرحَمُ»[(١)].

وكانت مداعبة الأطفال وملاعبتهم سُنّة استنّها صحابة رسول الله ﷺ. «فهذا أبو هريرة، وكان يستخلفه مروان على المدينة يمازح الأطفال، بل ويُشاركهم لعبهم، وربما أتى الصبيان وهم يلعبون باللّيل لعبة الأعراب، فلا يشعرون، حتى يلقي نفسه بينهم ويضرب برجليه فيفزع الصّبيان فيفرُّون»[(٢)]. هكذا كان الصّحابة رضي الله عنهم، وأحاديث رسول الله ﷺ في هذا الباب كثيرة نختار بعضها توضيحاً للمسألة.

عن أنس رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ: كان يزور الأنصار، ويُسلّم على صبيانهم، ويمسح رؤوسَهُم[(٣)]. وأنه قال لأنس مداعباً له: يا ذا الأُذنين[(٤)]. وعن أنس عن

---

(١) حديث صحيح شرح السّنّة، ١٣/ ٣٤.
(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي ٢/ ٦١٤.
(٣) الجامع الصحيح ٢/ ٨٨٧.
(٤) أبو داود في الأدب.

رسول الله ﷺ: **«والله إني لأسمع بكاء الصّبيّ وأنا في الصّلاة فأُخفّفُ مخافةَ أن تُفتنَ أُمُّه»**(١).

فما أحرانا أن نقتدي بهذه السيرة العطرة، فنرحم الأطفال، ونُحسن معاملتهم، ونُدخل السّرور إلى قلوبهم، على أن لا نفرط في هذا الأمر، وإنما ضمن حدود الإباحة والاعتدال، ولا نمكنهم من الألعاب المحرمة مثلاً حتى لا يعتادوها.

فاللعب حقٌّ من حقوق الصّغار، وهو رمز لحيويتهم ونشاطهم!! ويرى «فروبل» «أنّ الطّفل الذي يلعب بنشاط، ولا ينفك يلعب حتى يصيبه الإجهاد فيكفّ، هذا الطّفل سيكون في مستقبل حياته شخصاً ذا إرادة وعزيمة، يكافح ويستميت في النّضال لخيره وخير غيره».

ولما للعب من فوائد يقول معاوية رضي الله عنه: «مَنْ كان له صبي فليتصابَ له»، مُقدِّراً روحَ الطّفولة وطبيعتها.

ولذلك فمن أهمّ واجبات الأم المربّية: أن تلعب مع أطفالها بمرحٍ وحُبُورٍ، وليس المجال هنا مجال أنَفَةٍ ولا كِبْرٍ، وكذا الأب المربّي، والمعلّم المربّي.

البحث الخامس:

وسائل الثّقافة والمعرفة للأطفال

يجب أن تتضافر جهودُ المخلصين في مجال القصّة الهادفة، والمجلة النّافعة، وعمل أشرطة فيديو مدروسة لتحصين أبنائنا بالتّربية الرّشيدة والرّعاية الدّؤوب من منطلقات الأخلاق الإسلامية.

وفي مجال القصة مثلاً: نذكر للطفل بعض القصص المبسطة مما ورد في كتاب الله تعالى.

(١) الجامع الصحيح، ص ١١٩٣.

كقصة خلق آدم عليه السلام، وتبيان الغاية من خلق النّاس جميعاً وخروجهم من الجنّة بسبب طاعة آدم لوسوسة الشيطان فهو عدونا اللّدود.

وقد يكون من المناسب أن نذكر قصة إبراهيم عليه السلام، ثم نقصّ عليهم قصة أصحاب الفيل.

وقصة سليمان عليه السلام والهدهد، ففيها إغراء جميل وإثراء لخيالهم، مع التّركيز على عبادة الله وحده، فهو القادر الذي يُنطق الطّير ويُفهّم مَنْ يشاء لغة الطّير والنّمل.

فالقصص مادة حيّة يتسلّى بها الأطفال، ويشعرون بالألفة والرّابطة مع محتواها ومَنْ يقصّها عليهم.

فإذا أضيف إلى ذلك التّركيز على الهدف من القصّة، وإبرازه في كلّ مرّةٍ! كان التّأثير أشد والفائدة أعم، فالله مع المؤمنين ينصرهم في الدنيا ولهم في الآخرة الجنّة إن شاء الله، وللكافرين عذاب النّار. نحن نحب المؤمنين، ونكره الكافرين.

إلى غير ذلك من المعاني التي يجب أن نُقرّ بها من أذهان الناشئة ونغرسها في نفوسهم.

وفي هذا كله ترسيخٌ للعقيدة الإسلامية؛ من إيمانٍ بالله تعالى المتصف بصفات الكمال، والإيمان بالرّسل الكرام عليهم الصّلاة والسّلام، ويكون ذلك من دوافع التّخلّق بالأخلاق الإسلامية والآداب النّبوية السّامية الكريمة.

ومن أجل تعويد أطفالنا الإخلاص في النّيّة، والصّواب في العمل يمكن أن نستفيد من قصة النفر الثلاثة الذين آواهم الغار، وأطبقت عليهم الصخرة، وكيف أزيحت عن باب الغار بسبب أعمالهم الصّالحة التي دعوا الله بها وتوسّلوا إليه بسببها.

والوسائل الحديثة:

فالتّلفزيُون مثلاً يُعتبر جهاز تثقيف وترفيه في آنٍ واحد، ولكنّه للأسف أصبح أداة تخريب توجه إلى غزو عقيدتنا وتراثنا وتقاليدنا، أصبحت المسلسلات تغزو كل

أسرة، وتطارد كل منزل فتغزوه رَغَباً ورَهَباً فما السّبيل لذلك؟! وما الفائدة المرجوّة من ورائه، الآن يبدو أنّه أصبح وسيلةً لراحة الأسرة من شغب الأطفال وضجيجهم وهي راحة موهومة، قد يُعقبها الهمّ المنكود يوم تتجرع هذه الأسرة غصص البرامج السّيئة، لأنهم يرون أطفالهم قد شبّوا على تقليد أعدائهم، وتشرّبوا كثيراً من أخلاق واضعي هذه البرامج وعقيدتهم. . ممّا يجعل الصخب هيناً أمام هذا الخراب المركّز، وذلك ممّا جعل كثيراً من الأسر المتدينة تمتنع عن اقتناء هذا الجهاز، وإن كان هذا ليس بالحلّ الجذري.

ولهذه الوسيلة إيجابياتها وسلبياتها فقد تحدث عن أهميتها عدد من الكتّاب، يقول أحدهم: فإذا كان الاهتمام بالطّفل من أهمّ العلامات الحضارية في الأمم المتقدمة، والأمم التي تصبُو إلى التّقدّم وجب أن تشهد بلادنا اهتماماً متزايداً في برامج الأطفال الهادفة؛ دينياً وخُلقياً وعلمياً، وهذه أمانةٌ كبرى في عُنق مَنْ يقدر على تحقيقها، والمساعدة على إيجادها.

البحث السادس:

تنشئة الطّفل على الاتّزان والهدوء

من أهمّ ما يُؤدي إلى اتزان الشخصية في المستقبل، أنْ يكوّن الطّفل في هذه المرحلة عادة الاتزان والهدوء النّفسي.

أي أن تكون انفعالاته محددة معروفة نحو كل الأشياء والأشخاص وما يحيط به من وسط طبيعي واجتماعي، وهذا يتطلّب أن تكون معاملة الوالدين له ثابتة على مبادىء معيّنة، فلا يمدح اليوم على ما عوتب عليه بالأمس، ولا يزجره أحد الوالدين على عمل شيء شجعه الآخر على القيام به. ولا يرتكب أحد ما ينهى الطّفل عن إتيانه.

إذا عرفنا ذلك لزمنا أنْ نُحسن التّوجيه، وأن نتقن استغلال الحوادث لإعطاء

التّوجيه المناسب، لِما له من أثرٍ كبير فعّال، هذا مع القدوة الطيبة، والتّنسيق بين الأوامر والتّوجيهات المختلفة من أجل تكامل شخصية الطّفل، مع البُعد عن التّدليل له وتلبية جميع رغباته. لأنّ التربية التي تتّسم بالحماية الزائدة للطفل تؤدي إلى عدم القدرة على مواجهة الواقع، والخضوع وعدم الاتزان الانفعالي، ومن مظاهر الحماية الزائدة التدليل الذي يُؤدّي إلى الأنانية وعدم الشعور بالمسؤولية ورفض السلطة عليه، ومن مظاهره أيضاً التّسلّط الذي يؤدي إلى الاستسلام والخضوع.

كما أن على الآباء أن ينتبهوا إلى عدة مظاهر يتعرّض إليها الأطفال في هذه المرحلة، مثل: الخوف، والغضب، والبكاء الشديد، وما شابه ذلك، وذلك لتفادي أسبابها وحسن معالجتها.

الخوف: يُعتبر من المظاهر الطبيعية لدى الأطفال، وعلى الآباء ألّا يُخيفوا أطفالهم إلا في الأمور المستحبّة، مثل أن نخوفهم من الحوادث والأمور الخطيرة حماية لحياتهم من التّهلكة.

والأطفال النّاقصو الذّكاء هم الذين لا يخافون، والإناثُ أكثرُ خوفاً من الذكور عادة، والخوفُ قد ينتقل بالإيحاء من الكبار وإلى الصغار. والخطة العملية الصحيحة، هي أن نعطي أطفالنا الشّعورَ بالاطمئنان والحماية والاحترام، ولا بأس بأن نجعل الطّفل أكثر تعرّفاً على الشيء الذي يُخيفه.

فإذا كان يخاف الظلام مثلاً، فلا بأس من أن نداعبه بإطفاء النور ثم استعماله، وإن كان يخاف الماء، فلا بأس من أن نسمح له بأن يلعب في قليل من الماء في إناء صغير أو ما شابه.

وقد تكثر مخاوف الأطفال في هذه المرحلة نظراً لما يتعرّضون لمواقف كثيرة جديدة عليهم، ونظراً لأنّ خيالهم واسعٌ وجامحٌ، ولذا تكثر وتتضخّم مخاوفُهم وأوهامُهم.

فعلى الأم ألّا تُسفّه بالقول أو بالإشارة مخاوف الطّفل، وألّا تدفعه إلى نفس الموقف الذي سبب الخوف، وألّا تتجاهل ما يذكره الطّفل عن مخاوفه.

والواجب عليها أن تُشعِر الطّفل بتقدير حاله ومشاعره وأن تبث فيه الإحساس بالأمن والطمأنينة.

وفي بداية فترة منتصف الطفولة. أي حوالي سنّ الثالثة. فإنّ مخاوف خُمُس الأطفال ترتبط بالغموض، وبالأشياء الخارقة للطبيعة التي تُثيرها القصص الغامضةُ والراديو وأفلام جرائم القتل، وتجارب الحياة المباشرة.

ومن الممكن أن يكتسب الغالبية العظمى من مخاوفه عن طريق التعلم، فقد يصيبه الخوف من الكلاب مثلاً لأن كلباً عضّه، أو لأنّنا حذّرناه من الكلاب، أو لأنه سمع قصةً عن ذلك.

ومن الممكن التّغلّب على مخاوف الأطفال بأن نبثّ في نفوسهم الثّقة التي تنجم عن المهارة، وبهذا أمكن مساعدةُ الأطفال الذين كانوا يخشون الأماكن المرتفعة على التغلب على مخاوفهم بتشجيعهم على السّير على لوح من الخشب كأن يرتفع تدريجياً، كلّما زادت مهارة الطّفل. وواجب الآباء: عدم إخافة الطّفل إلّا في الأمور المستحبّة وبقدر الحاجة التّربوية، لأنّ الخوف الذي يدعو إلى الحيطة والحذر من أسس التّربية الحسنة.

والشجار بين الأطفال يُعتبر أمراً طبيعياً، ويجب أن يُعالج بمعالجة أسبابه، ومن أهمها: انشغال الأبوين عن الأطفال، وعدم شعورهم بالطمأنينة، ولذلك فعلى الأمّ أن تترك عملها أيّاً كان، وتجلس مع أبنائها تُحادثهم بمودّة، أو تلعب معهم. وغالبية البكاء يكون عند الأطفال المدلّلين، الذي يتخذون من الدموع وسيلةً لنيل مطالبهم.

وفي مثل هذه الحالة على الوالدين أن يقولا للطفل: لا تبكِ، وإذا بكيت لا نسمع شكواك، تكلّم، ليتحول البكاء إلى شكوى، ومعالجة هذه الشكوى.

وبذلك يتعلم الطّفل ضبط النّفس، والبعد عن الاندفاع ويعتاد اختيار أنسب الاستجابات.

وأفضل الوسائل لتجنبه الغضب وتخليصه منه، أن نغسل وجهه ويديه مثلاً، ثم تضطجع الأم معه، وتحكي له قصّةً أو نحوها تحوّله بذلك عمّا هو فيه من الغضب. وذلك للأحاديث الواردة في علاج الغضب.

يقول عليه الصّلاة والسّلام: «**إنّ الغضبَ من الشّيطان، وإنّ الشّيطان خُلِقَ من النّار، وإنّما تُطفأ النّارُ بالماءِ، فإذا غضب أحدُكم فليتوضّأْ**»[١]. ويقول ﷺ أيضاً: «**إذا غضبَ أحدُكم وهو قائمٌ فليجلسْ، فإنْ ذهب عنه الغضبُ، وإلّا فليضطجعْ**»[٢].

ولعلّ من الطرق المناسبة لامتصاص ثورة الغضب والعراك بين الأطفال تحويل نقمتهم إلى نوع من العمل الإيجابي السّليم، كمساعدة الغير مثلاً.

كان الأطفال في عراك وشجار حول أقلام التلوين أحدُهما في السّادسة والآخر في الثالثة والنصف من عمره، وقد بلغت ثورة الغضب أشدَّها، وجدتِ الأُمُّ أن التّوجيه والتّوبيخ لن يُجدي شيئاً ولن يُسمع. حاولت بتثاقل وبحركة تمثيلية أن تُظهر حاجتها للمساعدة وطلبتها من الكبير متجاهلة تماماً ما يدور بينهما من عراك. واتكأت عليه لتذهب للمطبخ لتقوم بعملها، فما شعرت إلّا وقد ترك الصّغير الأقلام ورمى بها جانباً ليمسك بيديه الصّغيرتين أُمّه ويساعدها لما فيه.

وانتهت الأزمة، وشُغل الطّفلان عن الموضوع الذي اختلفا من أجله، وهكذا كلّما نشب شجار بين الأطفال يُشغلون بعملٍ ما!؟. وما نرجوه أن يمتّع الله آباء أطفالنا وأمهاتِهم بالصّبر والحكمة وأنْ يُعينهم على أداء رسالتهم في التربية الصّالحة، والتّوجيه السّليم.

---

(١) رواه أبو داود: بذل المجهود ١٩/ ٤١.

(٢) رواه أبو داود: بذل المجهود ١٩/ ٣٩.